

"ميلي": المكتبة العامة الأولى للنساء في بعلبك، لبنان

"ميلي" مكتبة عامة ومقهى للنساء والفتيات في بعلبك، لبنان. فتحت "ميلي" أبوابها في شهر حزيران/يونيو ٢٠٢٣ وهي شغالة ثلاثة أيام في الأسبوع مجانًا وتوفّر للنساء والفتيات مساحةً آمنةً وصديقةً لهنّ لتمضية الوقت والعمل والدراسة وحضور ورش العمل. نشرت "ميلي" دليلًا من تأليف نساءٍ وفتياتٍ من بعلبك يشاركن فيه قصصًا واقعيةً عن مقاومة الأبوية، زواج الأطفال والتحرّش، من بين تجارب أخرى.

بعلبك، التي تُعرف بلقب "مدينة الشمس"، هي مدينة بارزة تقع في وادي البقاع في لبنان على بعد حوالي ٦٥ كم شمال شرق العاصمة بيروت. رغم التهميش المنهجي الذي مارسته الدولة بحق المدينة، تتمتع هذه الأخيرة بتاريخ غنيّ وبمجتمع متنوع وحيويّ. ولكن، كما هي الحال في العديد من البلدات والمدن حول العالم، لا ترحّب الأماكن العامة في بعلبك كثيرًا بالنساء والفتيات. لمواجهة هذا الواقع، طلبت مجموعة من الشابات والفتيات دعمًا ماليًا من صندوق دزّية النسوي لفتح أول مكتبة عامة للنساء في المنطقة وهي مكتبة "ميلي" (يعني هذا المصطلح باللغة المحلية "مري بنا" أو "انضمي إلينا").

تقول مهاد، إحدى مؤسّسات هذه المساحة، وهي شابة جريئة وواثقة من نفسها: "كلّما التقت النساء، يبدو أنّهن يخضعن لنوع من المراقبة المباشرة أو غير المباشرة. تشعر النساء أنّهن قيد المراقبة أو حتى أنّه يتم التنصّت إليهن. لهذا السبب، أردنا أن نطلق مكتبة ومقهى "ميلي" فيتسّى للنساء الالتقاء ببعضهن البعض وتمضية الوقت والتحدّث بحريّة وأمان".

تفتح "ميلي" أبوابها ثلاثة أيام في الأسبوع لكي تأتي النساء والفتيات من كافّة أنحاء المنطقة للعمل والدراسة وتمضية الوقت. مع الوقت، بدأت شبكات التضامن تتشكّل بشكلٍ عضويّ. تقول مهاد الحريصة على عكس القيم التشاركية التي تحرك "ميلي": "بدأت بعض النساء يتركن الألبسة التي لم يعدن بحاجة إليها أو كمّيات من الحليب للرّصع لكي تأخذها نساء أخريات.



عندما أعدّ تصوّر "ميلي"، حرصت المؤسّسات على وضع المعرفة في متناول النساء والفتيات ضمن بيئة آمنة ومريحة. وهكذا، ولدت فكرة المكتبة العامّة النسوية. توضح مهاد: "أردنا من الناحية العمليّة أن نتواصل مع النساء واللاجئات وغيرهن من النساء المهتمّشات في المناطق الفقيرة والمهملة. أنا من بعلبك وأعيش فيها وأدرك مدى الحاجة إلى مساحةٍ عامّة ومكتبة، كما هو الحال في مناطق أخرى من لبنان. كان ذلك دافعنا الرئيسي".

ولكن، لم يحلّ تكريس "ميلي" للمعرفة دون إثارة شكوك الأحزاب السياسية المحافظة في المنطقة التي شعرت بالتهديد من ظهور مساحةٍ نسويّة شابة جديدة وسط ناخبها تتناول موضوع حقوق المرأة والعدالة بين الجنسين. في مواجهة التهديدات والالتهامات الباطلة بـ "إفساد النساء"، استجاب فريق "ميلي" بكلّ انفتاح وشفافية، ودعا الناس لزيارة المكان والتعرّف على الأنشطة المختلفة عن كُتب. وسرعان ما خفتت الأصوات المعادية.

تقول لنا مهاد "نجحنا في تهدئة المخاوف. مع مرور الوقت، نمت شبكتنا لتضمّ أكثر من ٢٠٠ زائرة ومؤيِّدة من خلفيات متنوّعة. تقوم نساء لبنانيات وفلسطينيات وسوريات بزيارة "ميلي". كما أنشأنا مساحةً رقميةً موازيةً للتفاعل ومتابعة التواصل، بالإضافة إلى المكتبة نفسها". عزّز هذا التنوع إحساسًا عميقًا بالتضامن العاطفي والثقة. ينتهي المطاف بالزائرات اللواتي يحضرن ورش العمل واللقاءات الاجتماعية في المكان بتبادل القصص والخبرات وإيجاد القواسم المشتركة وتقديم الدعم المتبادل لبعضهن البعض.

بالإضافة إلى إعاره الكتب، تنظّم "ميلي" ورش العمل والنقاشات ومساحات التسوّق والدورات التدريبية والدروس النسوية التي تهدف إلى تحليل ومكافحة النظام الأبوي وأشكال العنف الأخرى. توضح مهاد: "يعدّ ذكر النظام الأبوي دون تقديم الاعتذارات أمرًا جديدًا. فنتناول قضايا لا تزال تعتبر من المحرّمات". تساعد روح التحديّ التي نفتحها "ميلي" النساء والفتيات في إدراك أنّ المشكلة لا تكمن فيهنّ، وإتّما في النظام الأبوي الذي يضطهد وينتهك عقولهن وأجسادهن. تقول مهاد بأسى: "يغيّر مثل هذا الإدراك حياة الكثيرات. هنالك عشرات النساء المهتمّات بحضور أنشطتنا، ولكن ليس لدينا دائمًا المساحة الكافية لاستضافتهن".

اضطّرت "ميلي" خلال شهر رمضان لإغلاق أبوابها احترامًا للشهر الكريم. أخبرتنا مهاد: "حدث شيء ظريف. جاءت شابةٌ لإعادة بعض الكتب التي كانت قد استعارتها قبل أن نعلّق نشاطنا... رأيتهّا تعانق جدار المكتبة، ثم سألتني بفارغ الصبر متى ستعيد المكتبة فتح أبوابها".

